محاضرات مقياس فقه اللغة

(السداسي الثاني)

للأستاذ: الجيلالي بوعافية

«اللّغة العربية واللّغات السامية»

حاول العلماء منذ أواخر القرن الثامن عشر البحث في تاريخ اللّغات وحاولوا تحديد أوجه الشبه والاتفاق بين اللغات، كما سعوا للبحث عن الأصول المشتركة لهذه اللغات رغبة في الوصول إلى ما يسمى باللغة الأولى أو الأم، ودراسة تطور اللّغات، وكتابة تاريخها اللّغوي، حتى توصل العلماء إلى بعض التقسيمات للغات وهو ما يسمى بالفصائل أو الأسر اللّغوية.

ولقد توصل العلماء إلى عدّة نظريات في تقسيم اللّغات في العالم ولكن أشهر تلك الأقوال وأروج تلك التقسيمات هو ما قال به العالم الألماني "ماكس مولر" (ت.1900م). فقد لاحظ أنّ أكثر لغات العالم تجمع بينها علاقات تاريخية، وأوجه شبه ممّا يمكن أن تكون متفرعة عن أصل واحد.

ومن منطلق وحدة النشأة للّغات وجد "مولر" أمامه مجموعتين لغويتين متميّزتين، أمّا اللّغات التي لم تندرج تحت هاتين المجموعتين فقد صنّفهما تحت مجموعة ثالثة:

وعلى قول "مولد" ففصائل اللّغات في العالم ثلاث:

1- فصيلة اللّغات الهندية- الأوروبية:

وهي أكثر اللّغات انتشاراً في العالم؛ إذ يتكلم بها أكثر سكان أوروبا وأمريكا وأستراليا، وقسّم كبير من سكان آسيا.

ويندرج تحت هذه المجموعة عدد من اللّغات البائدة: كالسنسكريتية، والفارسية القديمة، والبهلوية، واللّغات الجرمانية، واليونانية، والإغريقية القديمة، ويدخل ضمن هذه المجموعة من اللغات المستعملة الحية اللغات: الهندية، والفارسية، والكردية، والأفغانية، والأرمنية، والألبانية، واللّغات الأوروبية، والسلافية والاسكندنافية وغيرها.

وقد بحث العلماء كثيرا في هذه اللغات، لأنّ أكثر علماء اللغة في العصور المتأخرة ينتمون إليها.

2- فصيلة اللّغات السامية- الحامية:

وتشمل هذه الفصيلة مجموعتين لا يربط بينهما إلاّ روابط جغرافية، ذلك أنّ الاختلاف بين المجموعتين كبير.

الأولى: السامية، الثانية: الحامية: وتنسب هذه الأخيرة إلى حام بن نوح(عليه السلام)، وهي تحوي اللّغات المصرية القديمة، والقبطية. واللّغات البربرية التي لا يزال لها بعض الاستعمال في مناطق من شمال إفريقيا واللّغات الكنوشينية- الحبشية القديمة- والنوبية.

وأكثر هذه اللّغات طغت عليها اللّغات السامية.

3- فصيلة اللّغات الطورانية:

جمعها "مولر" تحت هذا الاسم، تخلصاً من كثرة التقسيمات:

ومن هذه الفصيلة: اللغات الصينية، واليابانية، والتركية والمغولية، وغيرها.

أولاً: اللّغات السامية:

والمراد بها كما يقول الرافعي في "تاريخ آداب العرب": لهجات سكان القسم الجنوبي من غرب آسيا من حدود الأردن شمالاً إلى البحر العربي جنوباً، ومن خليج العجم شرقاً إلى البحر الأحمر غرباً.

وهي منسوبة إلى سام بن نوح (عليهما السلام) باعتبار أنّ المتكلمين بها هم في الجملة من نسله.

وقد اختار العالم الألماني "شلوترز" اصطلاح اللّغات السامية لإطلاقه على هذه اللّغات، ويُعدّ أوّل من استخدم هذا الوصف وذلك في القرن الثامن عشر الميلادي.

وقد استمدّ هذه التسمية من جدول تقسيم الشعوب في الإصحاح العاشر من سفر التكوين في التوراة، وهو الجدول الذي يرجع الشعوب التي عمرت الأرض بعد الطوفان إلى أبناء نوح (عليه السلام): سام، وحام ويافث والذي جعل الآشوريين، والأرمينيين والعبريين من أبناء سام. وقد كتب الشيوع لهذا المصطلح أو التسمية رغم اعتراضات بعض الباحثين عليه.

يقول د. علي البواب: «تناقل المستشرقون وكثير ممّن سار على نهجهم من الباحثين العرب- أنّ علماء اليهود الذي كانوا يعيشون في الأندلس في القرن العاشر الميلادي هم أوّل من تنبّه إلى الصلات والروابط بين الشعوب السامية، وأنّهم أوّل من أدرك القرابة اللّغوية بين الساميين، وهذا إدّعاء غير صحيح، وفيه مغالطة تاريخية؛ فقد عرف كثير من علماء المسلمين من القرن العاشر الميلادي وبعده صلات القربى بين الشعوب السامية، كما عرفوا أنّهم من ذرية سام بن نوح، فالخليل بن أحمد الفراهيدي (ت.175ه) القرن الثامن الميلادي»، يقول في كتابه العين: «وكنعان بن سام بن نوح ينسب إليه الكنعانيون، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية»[1].

والجوهري من علماء القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، يقول: «وسام أحد بني نوح (عليه السلام) وهو أبو العرب»[2].

وابن حزم الأندلسي من علماء القرن الخامس الهجري يقول: «إنّ الذي وقفنا عليه، وعلمناه يقينا أنّ السريانية، والعبرانية، والعربية والتي هي لغة مضر وربيعة لا لغة

[1]- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، دار مكتبة الهلال، العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، دار مكتبة الهلال، 205/1.

[2]- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، 1955/5.

حمير. واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها... فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أنّ اختلافها إنّما هو تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان، واختلاف البلدان، ومجاورة الأمم، وأنها لغة واحدة في الأصل»[1].

1- موطن الساميين الأوّل:

كما اختلف العلماء في أصل اللغة السامية وأقدم لغة وأقربها إلى اللغة السامية الأم، فقد اختلفوا في الموطن الأوّل للساميين.

وكان لهم في ذلك ستّ نظريات وهي:

1. جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن)، وقد قال بذلك العالم "رينان" والمستشرق "كارل بروكلمان" وكذلك "فلبي".
2. ضفاف الفرات ودجلة (بين العراق وأرمينيا)، وقد قال بذلك "فون كريمر" و"جويدي" و"هومل".
3. بلاد الحبشة، وقد قال بذلك "بلكريف".
4. شمال إفريقيا وقال به "جيرلن".
5. سوريا وأرض كنعان، وقال به "جون بيترس".
6. الحجاز ونجد، وقال بها "شيرنجر".

ولعلّ أشهر الآراء وأرجحها هو أنّ شبه الجزيرة العربية هي الموطن الأوّل للساميين ، وقد مال إلى هذا الكثير من المستشرقين، لأنّهم يروا أنّ العرب أقرب الشعوب إلى الساميين لغةً وخلقاً، ولأنّهم بقوا في أرضهم ولم يختلطوا كثيراً مع غيرهم وأنّ كثيراً من الألفاظ السامية يعبّر عن عقلية تعتمد على المشاهدات الحسّية التي تنشأ في الصحراء.

[1]- فقه اللغة، إبراهيم الحمد، ص.74-75.

2- الخصائص التي تجمع اللّغات السامية:

أ- الخصائص الصوتية: منها:

1) تتميّز اللّغات السامية باحتوائها على حروف الحلق (الهمزة، والهاء، والحاء، والغين والخاء)، فلا تخلو لغة سامية من بعض هذه الحروف، وقد يضيع منها بعضها أو يتحول إلى صوت آخر تحت تأثير اللّغات الأخرى.
2) أجمع الباحثون على وجود القاف والطاء والصاد في كلّ اللّغات السامية، أمّا الظاء فيظن أنها متطورة عن الصاد، والضاد من خصائص العربية فلا توجد في غيرها.
3) الحروف الأسنانية (ذ، ث، ظ) ممّا تتميّز به السامية وإن فقد في بعض اللّغات السامية.

ب- الخصائص الصرفية:

1) اللّغات السامية لغات اشتقاقية تصريفية، وتعتمد على السوابق واللواحق في الزيادة على المعنى الأصلي، ولا تبدأ الكلمة بصوت صامت ساكن، ومعظم كلماتها ثلاثية الجذور أي ثلاثية الأصل.
2) زمن الفعل في اللّغات السامية ينقسم إلى ماضٍ، ومستمر ولا تعرف السامية في الأصل عبر هذين الزمنين، على حين نرى اللّغات الهندية الأوروبية ينقسم زمن الفعل فيها إلى عدّة أقسام.
3) تُعرف اللّغات السامية حالتين فقط من حيث الجنس وهما المذكر والمؤنث ولا تعرف نوعاً ثالثاً.
4) اللغات السامية تقسم الاسم من حيث العدد إلى مفرد ومثنى وجمع، والمثنى لا يعرف في كثير من اللّغات.
5) ظاهرة الإعراب ظاهرة سامية قديمة.

6) وممّا يربط بين اللغات السامية أيضا أنّنا نجد كثيرا من المفردات تتشابه معانيها.

وفيما يلي تخطيط عام، يبيّن علاقة اللّغات السامية، بعضها ببعض:

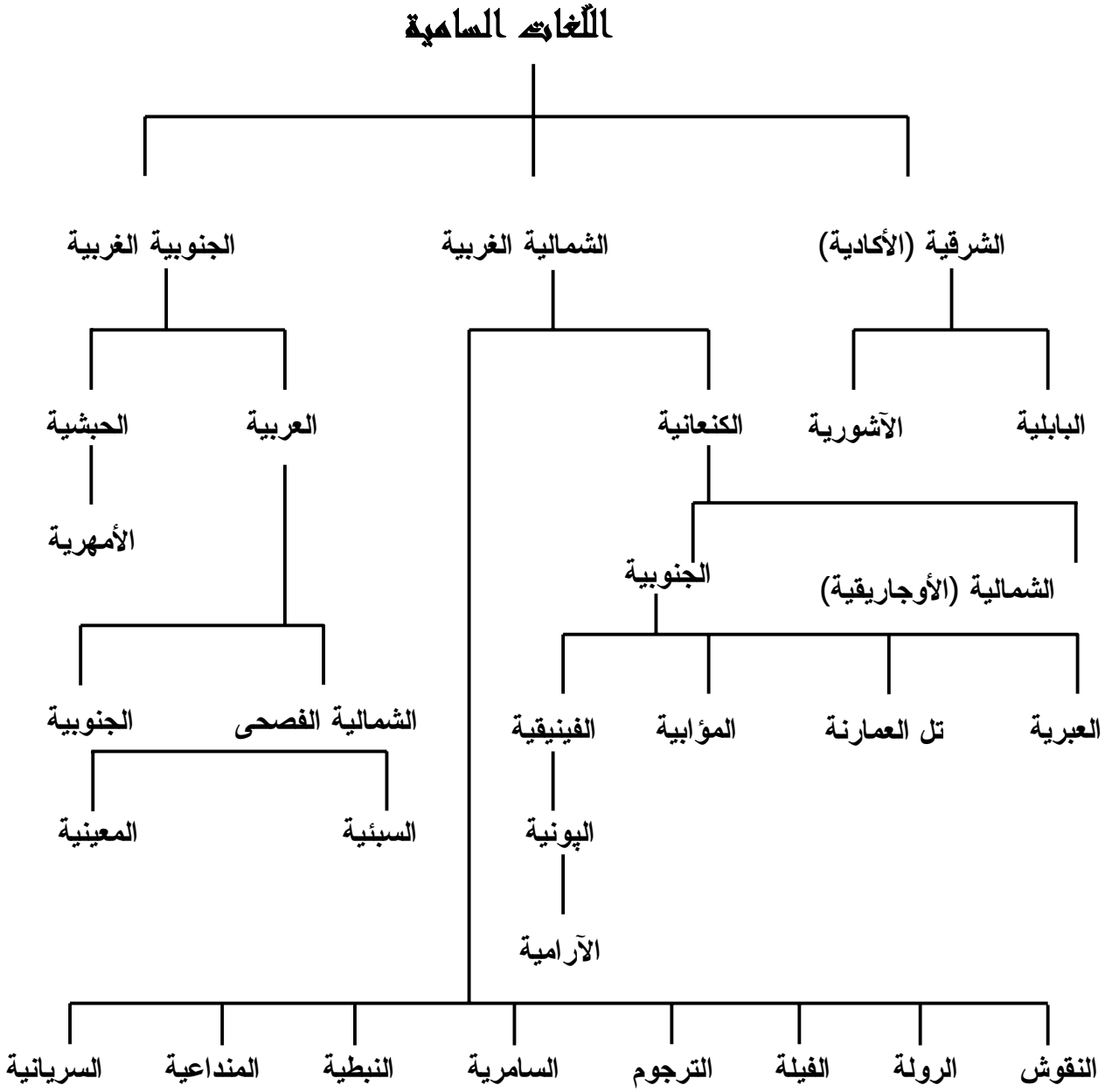

ثانياً: اللغة العربية ولهجاتها:

لقد تساءل العلماء والباحثون عن العربية التي نزل بها القرآن الكريم ووصلنا بها الشعر الجاهلي وكتب بها تراثنا الإسلامي والعربي، هل كانت قبائل العرب جميعاً تتكلم بهذه اللغة أم هي لغة قريش وحدها سادت بعد الإسلام ونزل القرآن بها؟.

ولقد اختلفوا في إجابتهم عن هذا السؤال، فمن قال أنّ العربية التي وصلتنا هي لغة قريش وحدها.، ومنهم من قال: إنها لغة مشتركة للعرب جميعاً، تعاملوا بها، واستعملوها في لقاءاتهم ومواسمهم الدينية والثقافية والتجارية، وإلى جانب هذه اللغة كان لكلّ قبيلة لهجة خاصة بها أو لغة خاصة، وإن كان الاختلاف في اللهجات لا يعدو أن يكون اختلافات قليلة من إمالة صوت، أو إبداله أو إدغامه أو إعمال حرف عند قبيلة تهمله قبيلة أخرى، أو اختلاف في دلالة لفظ بين قبيلة وأخرى.

1- تعريف اللهجة:

يُفهم من معنى اللهجة في المعاجم العربية أنها اللغة، أو طريقة أداء اللغة أو النطق، أو جرس الكلام ونغمته[1].

ويعرّفها المحدثون بأنّها: الصفات التي تتميز بها بيئة ما في طريقة أداء اللغة أو النطق.

2- انقسام اللّهجات وأسبابه:

انطلاقاً من التعريفات، فاللغة الواحدة قد تنقسم إلى عدّة بيئات لغوية لكلّ منها لهجة خاصة، أو صفات لغوية معينة، ويشترك أفراد البيئات المختلفة أو المتكلمون باللهجات المتعددة، في أكثر خصائص اللغة.

[1]- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط1، 1990. مادة (ل هـ ج)، 359/2.

فإذا قلنا اللغة العربية قصدنا بها اللغة التي يتفاهم بها المسلمون ويقرؤون بها ويكتبونها.

وأمّا إذا قلنا لهجة الجنوب أو الشام قصدنا طريقة أداء تلك المنطقة للغة، فقد تكون لهم خصائص معينة يختلفون فيها عن غيرهم.

والخصائص التي تميّز اللهجة قد تكون صوتية، فجماعة تنطق القاف كافاً أو الجيم ياءً أو الذال زاياً...

وقد يكون في ترقيق صوت أو تفخيمه، أو في طريقة النبر ونظام المقاطع. وقد تكون هذه الخصائص في بنية الكلمة ووزنها، وفي تقديم بعض الأصوات على بعض.

ولكن اللهجات التي تنتمي إلى لغة واحدة يجمع بينها روابط صوتية ولفظية، ودلالية وتركيبية كبيرة.

3- أسباب حدوث اللهجات:

هناك عوامل عديدة تؤدي إلى حدوث اللهجات منها:

1. العامل الجغرافي: اتساع الرقعة الجغرافية للمتكلمين باللغة، وتفصل بينهم الجبال والأنهار ويقل الاتصال بينهم، فتأخذ اللغة في التغيير شيئا فشيئا.
2. العامل الاجتماعي: الظروف الاجتماعية في البيئات المتعدّدة الطبقات، تساعد على حدوث اللهجات، فكلّ طبقة تحاول أن يكون لها لغتها أو أسلوبها اللغوي المميّز.
3. العامل السياسي: بعد انفصال قبيلة أو دولة عن غيرها واعتناق المذاهب السياسية أو الدخول في الديانات الجديدة يساعد على دخول ألفاظ واصطلاحات جديدة في اللغة.
4. الصراع اللغوي والاحتكاك: يعدّ من أهم العوامل التي تساعد على حدوث اللهجات، فالصراع بين لغتين يؤدي إلى انتصار إحداهما على الأخرى طبقا لقوانين لغوية،

فالأقوى حضارة ومادة قد يكتب له الانتصار، كما إنّ اختلاط الأقوام ببعضهم يؤدي إلى التغييرات اللّغوية.

4- نماذج من اللهجات العربية:

1)الكشكشة: هي إبدال كاف الخطاب في المؤنث شيناً في حالة الوقف وهو الأشهر وبعضهم يثبتها في حال الوصل أيضا، نجدها في: ربيعة ومضر. فيقولون في رأيتك: رأيتكش، وبك. بكش وعليك، عليكش.

2)الكسكسة: هي إبدال كاف المخاطبة سيناً أو زيادة سين على كاف المخاطبة. وهي: لربيعة ومضر.

3)الشنشنة: وهي قلب الكاف شيناً مطلقاً، فيقولون: في لبيك اللهم لبيك: لبيش اللهم لبيش. وتنسب إلى قبائل اليمن وتغلب وقضاعة.

4)التلتلة: هي كسر أحرف المضارعة مطلقاً، وينسبها بعض العلماء إلى كثير من قبائل العرب كتميم وقيس وبهراء.

5)الطمطمائية: هي إبدال لام التعريف ميماً، وقد جاء على هذه اللهجة قول النبي ﷺ: (ليس من أمبر أمصيام في أمسفر)، وتنسب إلى طيء والأزد وقبائل اليمن بعامة.

6)العنعنة: هي قلب الهمزة المبدوء بها عيناً، فيقولون في: إنك- عنك، أسلم- عسلم، إذن- عذن...

ثالثا: علاقة اللّفظ باللّفظ:

1- العلاقة بين صوت الكلمة ومعناها:

والمقصود بهذا الباب اللطيف في اللغة العربية مقاربة أصوات الحروف للأحداث المعبّر عنها.

وقال عنه ابن جنيّ: إنّه باب عظيم واسع، ووضع له بابا سماه (مقابلة الألفاظ بِما يُشاكل أصواتها من الأحداث).

قال عنه ابن جنيّ: «باب عظيم واسع، ونهج متلئبّ عند عارفيه مأموم، وذلك أنّهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمة الأحداث المعبّر عنها، فيعدلونها بها، ويحتذونها عليها، وذلك أكثر ممّا تقدّره، وأضعاف ما نستشعره»[1].

ومن ذلك قولهم: خضم وقضم؛ فالخضم لأكل الرّطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرّطب.

والقضم للصلب اليابس، نحو قضمّت الدابة شعيرها ونحو ذلك، وفي الخبر "قد يدرك الخضم بالقضم"؛ أي قد يُدرك الرخاء بالشدّة واللين بالشظف.

وعليه، قول أبي الدرداء: « يخضمون ونقضم والموعد الله».

فاختاروا الخاء لرخاوتها للرّطب، والقاف لصلابتها لليابس؛ حذو لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث.

ومن ذلك قولهم: «النضح للماء ونحوه، والنضخ أقوى، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾**[الواقعة:66]**، فجعلوا الحاء؛ لرّقتها للماء الضعيف، والخاء؛ لغلظتها لِما هو أقوى منه»[2].

[1]- الخصائص، ابن جنيّ، 159/2

[2]-المرجع نفسه 159/2-160.

«النّبر في اللغة العربية»

النّبر ظاهرة صوتية قائمة في نظام لغتنا العربية، له دور هام في إبراز المعاني وتميّز الدّلالات، بحث فيه العلماء واستطاعوا تقديم تحليلات ونظريات تكشف عن النظام الذي تنطوي عليه وظيفة الصوت داخل بيئة أيّة لغة؛ وأن يقدموا حلولاً لكثير من المشكلات العلمية في تعلّم اللّغات، فما المقصود بالنّبر في لغتنا وما قواعده وعلاماته؟.

1- تعريف النّبر:

أ- لغةً:

جاء في لسان العرب في تفسير مادة (نبَر) باب الراء فصل النون: «النبر بالكلام: الهمز، وكلّ شيء رفع شيئا فقد نَبَرَهُ (...) والمَنْبُورُ: المهموز، والنَبْرَة: الهمزة (...)، ورجل نَبَّارُ: فصيح الكلام (...)، يقال: نَبَرَ الرجل نبرةً: إذا تكلّم بكلمة فيها علوّ (...)، والنَّبْرُ: صَيْحَةُ الفزع (...) وانْتَبَرَ الجرحُ: ارتفع وورم (...)، والنّبِيرُ: الجُبْنُ (...) ورجل نَبْرٌ: قليل الحياء يَنْبُرُ الناس بلسانه...»[1].

فالنبر إذن في اللغة بمعنى الهمز، وهو في الأصوات ما كان منها مرتفعاً عالياً ذا قوة في السّمع.

ب- اصطلاحا:

أجمع معظم الباحثين في هذه الظاهرة الصوتية على أنّ النبر هو درجة الضغط على مقطع معيّن، لكي يكون بارزاً نطقاً وسمعاً عمّا سواه من المقاطع المجاورة له، على الرّغم من اختلافهم في كون بعضهم يقرّ بأنّ المقطع المنبور مرتبط بدرجة الضغط النطقي، والبعض الآخر يجعله مرتبطاً بالضغط في حدّ ذاته، ومن هؤلاء العلماء نذكر منهم:

[1]- لسان العرب، ابن منظور، 189/5.

- **تعريف "كمال بشر"** النّبر يعني: «نطق مقطع من مقاطع الكلمة بصورة أوضح وأجلى نسبياً من بقية المقاطع التي تجاوره (...)، ويتطلب النّبر عادةً بذل طاقة في النطق أكبر نسبياً، كما يتطلب من أعضاء النطق مجهوداً أشدّ»[1].

- **تعريف "تمام حسان"** هو: «وضوح نسبي لصوت أو مقطع، إذا ما قُورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام، ويتكون نتيجة عامل أو أكثر من عوامل الكمية والضغط والتنغيم»[2].

- **تعريف "ماريو باي"** يعرّفه بقوله: «النّبر معناه مقطعاً من بين مقاطع متتابعة يعطي مزيداً من الضغط أو العلوّ (نبر علوي)، أو يعطي زيادة أو نقصاً في نسبة التردّد (نبر يقوم على درجة الصوت)»[3].

اتفقت هذه التعريفات على أنّ التفاوت في درجة الضغط على مقطع معين، هو الذي يجعله يتميّز عن غيره من المقاطع الأخرى المقترنة به على مستوى البنية اللّفظية أو التركيبية، فلو كان الضغط بالدرجة نفسها على جميع المقاطع لتساوي الوضوح السمعي ولما تمكّن المستمع من معرفة موضع النّبر، إذن فالضغط أو الارتكاز على مقطع معين دون آخر هو الذي يُحدّد موقع النّبر وموضعه، لهذا فإنّ الضغط عامل من عوامل النّبر، وليس هو النّبر في حدّ ذاته، يقول تمام حسان مؤكداً هذا الكلام: «... فالضغط لا يسمى نبراً، ولكنّه يعتبر عاملاً من عوامله، ومع هذا فإنّه يعتبر أهمّ هذه العوامل، وربّما كان ذلك لأنّ النبر يعرف بدرجة الضغط على الصوت أكثر ممّا يعرف بأيّ شيء آخر، أو لأنّ الضغط في صورته (صورة القوة وصورة النغمة) يتسع مجال تطبيقه على النبر أكثر ممّا يتسع مجال العوامل الأخرى»[4].

---

[1]- فن الكلام، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، د.ط، 2003، ص.255.

[2]- مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء- المغرب، ط2، 1394هـ، ص.160.

[3]- أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة: أحمد عمر مختار، عالم الكتب، د.ط، د.س، ص.93.

[4]- مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص.160.

إلاّ أنّ هناك من الباحثين من يسمي النبر ضغطاً، وإن كان في كلامه ما يُحيل على أنّ النّبر إنّما يحدث من خلال درجة الضغط على مقطع صوتي معين، ومن هؤلاء "إبراهيم أنيس" الذي عرّف النبر بقوله: «والمرء حين ينطق بلغته يميل عادةً إلى الضغط على مقطع خاص من كلّ كلمة ليجعله بارزاً أوضح في السمع من غيره من مقاطع الكلمة، وهذا الضغط هو الذي نُسميه بالنبر»[1].

ونختم هذا الكلام بقولنا: «إنّ المتحكّم في النبر هو: أغراض ومقاصد المتكلمين، إذاً هو حالة نسبية وليست حالة مطلقة».

2- أنواع النّبر:

يقسّم النّبر في اللغة العربية إلى قسمين رئيسيين هما: نبر الكلمة ونبر الجملة.

أ- نبر الكلمة:

يُعرّف هذا النوع بأنّه: «الضغط على مقطع من مقاطع الكلمة وإبرازه تمييزاً له عن غيره»[2].

ب-نبر الجملة:

يُعرّف هذا النوع من النبر بأنّه: «الضغط النسبي على كلمة من كلمات الجملة أو على ما كان في حكم الكلمة الواحدة، ليكون ذلك الجزء المضغوط من الجملة أبرز من غيره من أجزاء الجملة، ويقع على ما يُراد تأكيده، أو ما يستغرب من الجملة»[3].

---

[1]- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مِصْر، مصر، د.ط، د.ت، ص.98.

[2]- مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، نو الهدى لوشن، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية- مصر، د.ط، 2006، ص.104.

[3]- الدراسات الصوتية عند علماء العرب والدّرس الصوتي الحديث، حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة- مصر، ط1، 2005، ص.187-188.

أمثلة على ذلك:

1) سافر حمزة أمس للحج براً.
2) سافر حمزة أمس للحج براً.
3) سافر حمزة أمس للحج براً.
4) سافر حمزة أمس للحج براً.
5) سافر حمزة أمس للحج براً.

ففي الجملة الأولى كان النبر على (سافر) لكون الحدث هو ما يُراد تأكيده في الجملة. وفي الجملة الثانية كان النبر على (حمزة) لكون المسند إليه هو موطن الاستغراب أو ما يراد تأكيده، فقد يكون المسافرون كثيرين، ولم يكن من المتوقع سفر حمزة معهم، فوقع الضغط على اسمه تأكيداً لذلك، وفي الجملة الثالثة كان النبر على (أمس) لكون زمن الحدث هو محل الاستغراب أو التأكيد، فقد يكون سفر حمزة إلى مكة أمراً عادياً،ــ ولكن حصوله أمس مع اقتراب زمن الحج مثلاً هو محل الاستغراب، وفي الجملة الرابعة كان النبر على (للحجّ) لكون المكان الذي سافر إليه حمزة هو ما يُستغرب منه أو يراد تأكيده، فقد يكون حمزة رجلاً كثير الأسفار، ويكون سفره أمراً معتاداً لا غرابة فيه، إلاّ أنّه غير معتاد أن يكون إلى مكة، وفي الجملة الخامسة كان النبر على (براً) لأنّه قد يكون سفر حمزة أمس إلى مكة أمراً عادياً، ولكن حصوله براً هو ما يُراد تأكيده لسبب ما، فصحة حمزة مثلا لا تتحمّل سفر البرّ، أو إنّ طريق البرّ آمنة أو نحو ذلك.

يُقيم "تمام حسان" مقارنة بسيطة بين النبر الصرفي (نبر الكلمة)، وبين النبر السياقي (نبر الجملة) فيقول: «ونبر السياق مستقل عن نبر الصيغة الصرفية- أي شرحناه- ولو أنّه يتّفق معه في مواضع أحيانا، والفرق بين الدلالي والصرفي، أو نبر السياق ونبر الصيغة، أنّ نبر السياق يمكن وصفه على عكس نبر الصيغة بأنّه إمّا أن يكون تأكيداً، وإمّا أن يكون تقريريا، ويمكن تلخيص الفرق بين التأكيدي والتقريري في نقطتين؛ أوّلاً: أنّ

دفعة الهواء في النبر التأكيدي أقوى منها في التقريري، والأخرى أنّ الصوت أعلى في التأكيدي منه في التقريري، وبأيّ مقطع في المجموعة الكلامية سواء أكان في وسطها أم في آخرها، صالح لأن يقع عليه هذا النوع من النبر...»[1].

3- مستويات النّبر ودرجاته:

يقسّم علماء الأصوات النبر إلى ثلاث درجات أساسية هي:[2]

- النبر الأوّلي ويرمز له بـــ [/]
- النبر الثانوي ويرمز له بـــ [\ ]
- النبر الضعيف وليس له رمز.

وقد بنوا كلّ ذلك على أساس ثلاثة معايير أساسية هي: «ازدياد شدّة الصوت، ارتفاع نغمته الإسماعية وكذا امتداد مدّته الإنتاجية»[3].

4- شروط النبر في اللغة العربية:

قبل التطرّق إلى قواعد النبر في اللغة العربية، لابدّ أوّلاً من معرفة شروطه في هذه اللغة، وفيما يلي بعض أهم هذه الشروط:

1) إذا كانت الكلمة مؤلفة من مقطع واحد، فالنبر عليه إطلاقاً أيّاً كان شكل هذا المقطع، مثل: عُدْ، نَمْ، وصِلْ... الخ

2) لا تُحسب (ال) التعريف في مقاطع الكلمة.

---

[1]- مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص.36-37.

[2]- المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، محمد الأنطاكي، مكتبة دار الشروق، بيروت- لبنان، ومكتبة الشهباء، حلب- سوريا، ط3، د.ت، ص.52-53.

[3]- نفسه 53

3) كلّ ما يلحق الكلمة من ضمائر متصلة، أو ما يسبقها من حروف المضارعة داخل فيها أثناء عدّ المقاطع.

4) يُحدّد موقع النّبر على أساس أنّ الكلمة منطوقة في حال الوصل وبعد التحديد لا يهمّ أن تنطقها موصولة أو موقوفاً عليها بالسكون لأنّ موقع النبر لا يتغير بين وصل ووقف.

«علاقة اللّفظ بالمعنى»

❖ الترادف:

ويسمى المترادف والمرادف أيضا.

1- تعريفه:

أ- لغةً:

قال ابن فارس: «الراء والدال والفاء أصل واحد مطرد يدل على اتباع الشيء؛ فالترادف التتابع، والرديف الذي يُرادفك»[1].

ب- اصطلاحا: عُرّف بعدّة تعريفات وكلّها متقاربة منها:

- قال الجرجاني: «المترادف ما كان معناه واحداً، وأسماؤه كثيرة»[2].
- وعرّفه أيضا: «المرادف: ما كان مسماه واحداً، وأسماؤه كثيرة وهو خلاف المشترك»[3].
- وقيل: «هو ما اتّحد معناه، واختلف لفظه».

مثال: الجود، السخاء، الكرم، البذل....

السرور، الحبور، الفرح،.....

هفوة، سقطة، زلة، عثرة، كبوة....

2- الاختلاف حول وجود الترادف في اللغة:

اختلف اللّغويون قديما وحديثا حول حقيقة وجود الترادف في اللغة فمنهم من أنكر وجوده ومنهم أثبته.

---

[1]- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، 503/2.

[2]- التعريفات، الجرجاني، ص.199.

[3]- نفسه، ص.208.

أ- المثبتون للترادف:

يعدّ سيبويه من أشهر المثبتين للترادف، حيث قال في باب (اللفظ للمعاني): «اعلم أنّ كلامهم اختلاف اللّفظين لاختلاف المعنيين واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين. فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلس وذهب، واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف نحو قولك: وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة وأشباه هذا كثير»[1].

فقوله: اختلاف اللّفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق ينصرف إلى الترادف.

وممّن أيّدوا هذا الأصمعي، وقد ألّف كتاباً عنوانه: (ما اتفق لفظه واختلف معناه)، وكان يقول أحفظ للحجر سبعين اسماً.

وكان أيضا ابن خالويه الذي افتخر بجمعه للأسد خمسمائة اسم وللحية مئتين وأنّه يحفظ للسيف خمسين اسماً

وأبو الحسن الرماني الذي ألّف كتاب (الألفاظ المترادفة)، ومعظم المحدثين من اللّغويين العرب يعترفون بوقوع الترادف في اللغة، من هؤلاء: علي الجارم، وإبراهيم أنيس الذي يقول: «إنّ علماء اللّغات يجمعون على إمكان وقوع الترادف في أيّ لغة من لغات البشر.

ب- المنكرون للترادف:

لقد أنكر الترادف فئة من العلماء قديما وحديثا من العرب وغيرهم، ومن هؤلاء:

أ- القدماء:

- ثعلب الذي كان يقول: «لا يجوز أن يختلف اللّفظ والمعنى واحد».

[1]- الكتاب، سيبويه، 24/1.

- ابن درستويه حيث يقول: «لا يكون فَعَلَ و أَفْعَلَ بمعنى واحد كما لم يكونا على بناء واحد إلاّ أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين، فأمّا من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد كما يظن كثير من اللّغويين والنحويين».

وهذا ما قال به ابن فارس: «إنّ الاسم واحد وهو السبق ومنا بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أنّ كلّ صفة منها معناها غير معنى الأخرى». ولهذا الرأي مال أبو علي الفارسي، وأبو هلال العسكري وغيرهم

والخلاصة هي كما قال العلامة "عز الدين بن جماعة": «أنّ من جعلها مترادفة ينظر إلى إتحاد دلالتها على الذات، ومن يمنع ينظر إلى اختصاص بعضها بمزيد معنى فهي تشبه المترادفة في الذات، والمتباينة في الصفات»[1].

فإذا قلنا مثلا: إنّ الله هو السميع، العليم، البصير، الخالق، البارئ، المصوّر، فهذه الأسماء مترادفة باعتبار دلالتها على ذات (الله) واحدة ومسمى وحده هو الله عزّ وجل.

وهي متباينة باعتبار أنّ في السميع معنًى غير المعنى الذي في البصير وهكذا....

وإلى هذا الرأي مال شيخ الإسلام ابن تيمية.

3- أسباب وقوع الترادف:

يقول السيوطي في هذا الباب: «قال أهل الأصول: لوقوع الألفاظ المترادفة سببان:»

أ) **أن يكون من واضعين:** وهو الأكثر بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين، والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد من غير أن تشعر إحداهما بالأخرى ثم يشتهر الوضعان ويخفى الواضعان.

ب) **أن يكون من واضع واحد:** وهو الأقل[2].

[1]- فقه اللغة- مفهومه، موضوعاته قضاياه-، إبراهيم الحمد، ص.201.

[2]- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، 1/405-406.

4-فوائد الترادف:

ذكر للترادف فوائد عديدة منها ما يلي:

1. أن تكثر الوسائل إلى الإخبار عمّا في النفس، فلربما نسي أحد اللّفظين أو عُسر عليه النطق به.
2. التوسع في سلوك طرق الفصاحة، وأساليب البلاغة في النظم والنثر وذلك لأنّ اللفظ الواحد قد يتأتى، باستعماله مع لفظ آخر، السجع والقافية والتجنيس والترصيع وغير ذلك من أصناف البديع، ولا يتأتى ذلك إلاّ باستعمال مرادفه مع ذلك اللفظ.
3. المراوحة في الأسلوب، وطرد الملل والسآمة؛ لأنّ ذكر اللفظ بعينه مكرراً قد لا يسوغ.
4. قد يكون أحد المترادفين أجلى من الآخر، فيكون سرحاً للآخر الخفي، وقد ينعكس الحال بالنسبة إلى قوم دون آخرين.

<u>أمثلة الترادف:</u>

أ) **العسل**: له ثمانون اسما: الضّرب، الضريب، الشوب، الذّوب، الحميت، الحليس، الورس، الشّهد، ولعاب النحل، والرحيق وغيرها.

ب) **السيف**: ومن أسمائه ما ذكره ابن خالويه: الصارم، الرّداء، والخليل، والقضيب، والصفيحة، والمفقّر، والكهام، والمشّرفي، والحسام، ، والمهنّد، الصقيل، الأبيط وغيرها.

ج) ويقال قطعت يده، وجذمت وبترت، وبتكت، وبصكت، وصرمت، ووترّت، وجذّت.

«المشترك اللّفظي»

1- تعريفه:

أ- لغةً:

هو من الفعل اشترك، يشترك، والمصدر اشتراك، والمشترك اسم المفعول.

ب- اصطلاحاً:

عرّفه الجرجاني، فقال: «المشترك ما وضع لمعنى كثير بوضع كثير»[1].

وقال ابن فارس: «تسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد نحو: (عين الماء)، و(عين المال) و(عين السحاب)»[2].

وقال السيوطي: «وقد حدّه أهل الأصول بأنّه اللّفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة»[3].

ومن هنا يمكن أن نقول: هو ما اتحد لفظه، واختلف معناه.

ولقد اختلف الناس في اللّفظ المشترك، هل له وجود في اللغة؟. فأثبته قوم،ــ ونفاه آخرون.

والأكثرون على انّه واقع لنقل أهل اللغة ذلك في كثير من الألفاظ، ومن الناس من أوجب وقوعه، قال: لأنّ المعاني غير متناهية والألفاظ متناهية، فإذا وزع لزم الاشتراك.

وذهب بعضهم إلى الاشتراك أغلب، قال: «لأنّ الحروف بأسرها مشتركة بشهادة النحاة، والأفعال الماضية مشتركة بين الخبر والدعاء والمضارع كذلك وهو أيضا، مشترك بين الحال والمستقبل، والأسماء كثير فيها الاشتراك فإذا ضممناها إلى قسمي

---

[1]- التعريفات، الجرجاني، ص.618.

[2]- الصاحبي، ابن فارس، ص.59.

[3]- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، 369/1.

الحروف والأفعال كان الاشتراك أغلب. ورد بأنّ أغلب الألفاظ الأسماء، والاشتراك فيها قليل بالاستقراء، ولا خلاف أنّ الاشتراك على خلاف الأصل»[1].

والمتأمل للخلاف في المشترك يجد أنّه ما كان ينبغي أن يتوسع فيه، ويشقق القول، لأنّهم جميعاً متفقون على وجود ألفاظ في اللغة قد استعملتها العرب في الدلالة على معانٍ مختلفة بغض النظر عن كيفية وجودها مثل لفظ (العين) فهي بلفظها قد استعملت لمعانٍ كثيرة وكذلك غيرها من الألفاظ التي سيأتي ذكر بعضها.

وهذا الاستعمال كافٍ في إثبات المشترك؛ لذلك فإنّ الذي عليه أكثر المتقدمين من اللّغويين هو القول بالاشتراك.

2- نماذج عن المشترك:

1) **العم**: أخو الأب، والعم: الجمع الكثير.

قال الراجز:

يا عامر بن مالك يا عمًّا ❁ أفنيت عمًّا وجبرت عمًّا

2) **النوى**: يطلق على الدار، والنية، والبُعد.
3) **الهلال**: هلال السماء، وهلال الصيد، وهلال النعل، وهو الدُؤابة والهلال: الحية إذا سلخت، والهلال: باقي الماء في الحوض.
4) **العين**: تطلق على معانٍ كثيرة جدا، تطلق على الدراهم والدنانير، وعلى عين الماء، وعين البركة والعين التي تصيب الإنسان وعلى فم القربة وعلى عين الشمس وعلى الجاسوس وعلى الباصرة.

[1]- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، 1/369-370؛ وأنظر: الصاحبي، ابن فارس، ص.59-60.

5) **الخال:** يطلق على أخي الأم، والمكان الخالي، والعصر الماضي، والدابة والخيلاء، والشامة في الوجه، والسحاب، والظن والتوهم، والرجل المتكبر والرجل الجواد.

ومن لطائف المشترك ما ذكره السيوطي من أبيات للخليل على قافية واحدة يستوي لفظها ويختلف معناها:

يا ويح قلبي من دواعي الهوى ❁ إذ رحل الجيران عند الغُروبْ

أتبعتهم طرفـــي، وقد أزمعـــوا ❁ ودمعُ عينيَّ كفيض الغُروبْ

كـــانـــوا وفيهـــم طَفلـــةٌ حرّةٌ ❁ تفترّ عن مثل أقاحي الغُروبْ

فالغُروب الأول غروب الشمس، والثاني جمع غَرب: وهو الدلو العظيمة المملوءة، والثالث جمع غرب: وهي الوهاد المنخفضة[1].

[1]- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، 1/376-377.

«المتضـــاد»

المتضاد نوع من المشترك ويقال له: الأضداد، والتضاد.

1- تعريفه:

أ- لغةً:

من مادة ضَدَدَ: وضد الشيء خلافه، والجمع أضداد، وقد ضادّه فهما متضادان، والتضاد مصدر[1].

ب- اصطلاحاً:

هو دلالة اللّفظ الواحد على معنيين متضادين مثاله: الجون: يطلق على الأسود، والأبيض.

وهناك تعريف آخر وهو: الكلمات التي تؤدي إلى معنيين متضادين بلفظ واحد.

وقال ابن فارس: «ومن سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد»[2].

وقيل: هو أن يطلق اللفظ على المعنى وضدّه[3].

2- الفرق بين المشترك والمتضاد:

1. المشترك أعمّ من المتضاد؛ فالمتضاد نوع منه، فكلّ متضاد مشترك ولا عكس.
2. المشترك يدلّ على عدّة معانٍ، ولا يلزم أن يكون متضاده.

أمّا المتضاد فيدلّ على معنيين، ولابدّ أن يكونا متضادين فمثل كلمة (العين) تدلّ على معانٍ عديدة، ولا يلزم منها التضاد فهي- بهذا الاعتبار- مشترك، لا متضاد.

---

[1]- لسان العرب، مادة (ضدد)، 3/263-264.

[2]- الصاحبي، ابن فارس، ص.60.

[3]- ينظر: فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مِصر، مصر، ط3، 2004، ص.148.

وكلمة الغابر: تطلق على الماضي وتطلق على الباقي، فهي بهذا الاعتبار متضاد، لأنها دلّت على معنيين متضادين.

وقد اختف العلماء في وقوع الأضداد، فمنهم من قال بوجوده وذلك لأنّ المعاني غير متناهية، والألفاظ متناهية.

وذكروا من عللها وأسبابها وشواهدها الشيء الكثير.

ومن هؤلاء الأصمعي، وأبو عبيدة، وابن السكيت، وقطرب، وابن فارس وابن الأنباري وغيرهم.

ومنهم من أنكر وجود الأضداد، وتأوّل ما ورد منها في اللغة، ونصوص العربية، وأشهر هؤلاء: ابن درستويه- رحمه الله- وله مصنّف في إبطال الأضداد.

قال السيوطي: «قال ابن درستويه في شرح الفصيح: النوء: الارتفاع بمشقة وثقل، ومنه قيل للكوكب: قد ناء: إذا طلع»[1].

وزعم قوم من اللّغويين أنّ النوء السقوط، أيضا، وأنه من الأضداد.

ومنهم من قال بوقوعه وأنكر على من تعسّف في إنكاره، غير أنّه يرى أنّ وروده لم يكن بتلك الكثرة التي ذهب إليها من يراه بإطلاق ذلك؛ أنّ كثيراً من الأمثلة التي ظنّ هذا الفريق أنها من قبيل الأضداد يمكن تأويلها على وجه آخر يخرجها عن هذا الباب.

ففي بعض الأمثلة قد استعمل اللفظ في ضد ما وضع له لمجرد التفاؤل كمفازة في المكان الذي تغلب فيه الهلكة، فقد سميت بذلك تفاؤلاً، وكالسليم للملدوغ، وكالريان والناهل للعطشان، وفي بعضها قد استعمل اللفظ في ضده لمجرد التهكم، أو لاتقاء التلّفظ بِما يكره التلّفظ به، أو بِما يمجه الذوق أو بِما يؤم المخاطب وذلك بإطلاق لفظ العاقل على المعتوه أو الأحمق، والخفيف على الثقيل وهكذا...

[1]- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، 396/1.

3- المؤلفات في الأضداد:

لقد حاول العلماء حصر كلمات الأضداد، وجمعها من كلام العرب في شعرهم ونثرهم، وفيما ورد منها في القرآن الكريم، والحديث الشريف، ثم أفردوها بالتأليف والتصنيف وأصبحت مصدراً أصيلاً من مصادر المعجمات.

وممّن ألف في الأضداد- كما ذكر السيوطي-: «قطرب، والتوزي، وأبو البركات، ابن الأنباري، وابن الدهان، والصغاني»[1].

هذا عدا الفصول التي وردت في كتاب "الجمهرة" لابن دريد، و"الغريب المصنف" لأبي عبيد، و"الصاحبي" لابن فارس، و"المخصص" لابن سيده، و"فقه اللغة" للثعالبي، و"ديوان الأدب" للفارابي، و"المزهر" للسيوطي[2].

4- أمثلة وشواهد عن الأضداد:

أمثلة مختارة من كتاب الأضداد لابن الأنباري:

1. **القرء**: حرف من الأضداد: يقال القرء للطهر وهو مذهب أهل الحجاز، والقرء: للحيض وه مذهب أهل العراق.
2. **عسعس**: يقال: عسعس الليل إذا أدبر وعسعس إذا أقبل.
3. **المولى**: المُنعم المُعتق، والمولى: المُنعَم عليه المُعتَق.
4. **اشتريت**: بمعنى قبضته وأعطيت ثمنه، وبمعنى بعته.
5. **السارب**: المتواري والظاهر.
6. **الصريم**: يقال لليل: صريم وللنهار: صريم؛ لأنّ كلّ واحد منهما يصرم صاحبه.
7. **السليم**: يقال: سليم للسالم وسليم للملدوغ.

---

[1]- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، 397/1.

[2]- تاريخ آداب العربي، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1421هـ/2000م، 198/1-199.